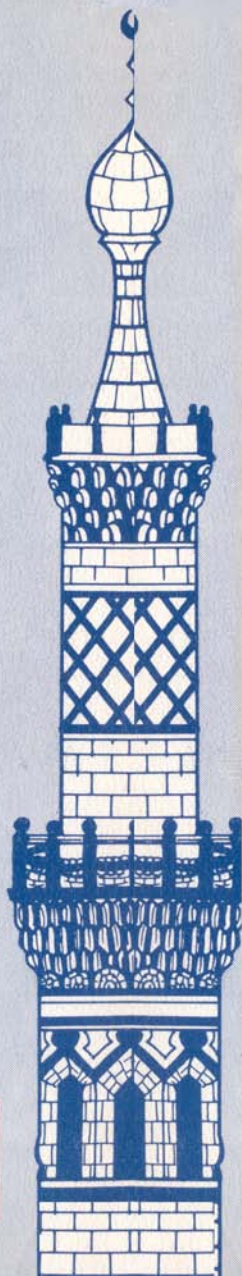




محمد القسادي عرجون
عميد كلية أصول الدين سابقاً
مأبذة الأزهر - القاهرة

منهج منهج لتفسير القرآن



إدار السعوديه للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية
وزارة المعارف
المكتبات المدرسية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

محمد الصيادق عرجون
عميد كلية أصول الدين سابقاً
بجامعة الأزهر - القاهرة

نحو منهج لنفسه القرآن

المملكة العربية السعودية
وزارة المعارف
المكتبات المدرسية

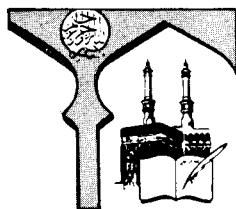
إدار السعودية للنشر والتوزيع

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثالثة

١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م

- جدة : الادارة - البغدادية عمارة الجوهرة الدور الثاني شقة رقم ١٢٥٧
تليفون ٢٤٠٤٣ / ٣٢٨٢١ ص.ب: ٢٠٤٣ بريقياً: نشر دار.
المكتبة : شارع الملك عبد العزيز تليفون ٢٣٥٢٣
الدمام : الشارع العام عمارة المنصور والعبدلي ص.ب: ٨٩٩ تليفون
٢٣٥١٥ بريقياً : نشر دار الدمام .
الطائف : حي السلامة بالبرقاوية أمام مسجد الحوافي تليفون ٦٢٤٩٠ .



مقدمة

الحمد لله . والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى
آله وأصحابه .

أيها السادة : ماذا يعني هذا العنوان ؟ هل يعني أن
يجري الحديث في هذا البحث نحو عرض لمنهج تفسير
القرآن أو مناهجه الموجودة الآن بين أيدي المسلمين ،
تدرس في مدارسهم ومعاهدهم وجامعاتهم ومحافلهم كما
تحدث عنها أئمة التفسير من جهابذة المنقول والمعقول ؟
أو أنه يعني أن يجري الحديث عن منهج للتفسير جديد
مبتدع مبتكر لم يأت بمثله الأوائل في تفاسيرهم التي
عرفت الكثير منها المكتبة القرآنية منذ بدأ أعلام الصحابة
وتلاميذهم يفسرون القرآن ؟ !

أما مجرد عرض مناهج التفسير الموجودة الآن بين أيدي المسلمين على اختلاف مراتبها وتفاوت درجاتها في الاعتماد على النقل أو العقل فهذا شيء لا ينبغي أن يكون هدفاً لبحث يقصد إلى إبراز فكرة تضع القرآن الكريم ، أو تنبيه على وجوب وضع القرآن الكريم في موضعه الأصيل من الدراسات الإسلامية أينما توجد هذه الدراسات ، باعتبار أن القرآن العظيم هو المنبع الأول لهذه الدراسات في جميع مناحيها واتجاهاتها الدينية الخالصة أو الدنيوية المنظمة للحياة وكلها في نظر الإسلام دين .

بيد أننا لا نرى مانعاً من أن يجرنا الاستطراد الجاحظي إلى الحديث عن هذه المناهج الدراسية في تفسير القرآن التي وقف عندها التفكير الإسلامي المؤمن المتطلع إلى آفاق الحياة مترقباً اشراق شمس الهداية من وراء سحب التخلف عن قافلة التفكير الإنساني لتبدد ظلمات الجمود العاجز ، أو العجز المتجمد عن حياة المسلمين في هذه الأعصر الفوارة بالتوثب العقلي ، لنرى ما في تلك المناهج من حوافز دفعت المسلمين في نهضتهم الفكرية دفعا أناف بهم على ذروة القيادة الإنسانية فكراً واجتماعياً وسياسياً ،

ولنرى أيضا ما أقحم على تلك المذاهج من معوقات من
رواسب التفكير المتخلف أو المنحرف ، ظلت تلك المعوقات
متربصة بالمجتمع الاسلامي ، تتحين فرصة الوثوب عليه
لترده عن سيره الجاد ، الماجد في قيادة الحياة إلى غشاء من
الخرافات والأساطير ، والخوف من السبح في لجج التفكير
الناهض والرضا بالقناعة الذليلة المذلة .

ولنرى ثالثا مكان تلك الحوافز الدافعة ، ومكان
تلك المعوقات من حياتنا اليوم ، ونعرف مكاننا فيها ،
لنستطيع أن نخلص بالحوافز القرآنية الدافعة في منهج
تفسير نقيم عليه دعائم حياتنا نحن المسلمين بعيدا عن
المعوقات المخدلة التي تجد من واقعنا اليوم ما يفرضها على
حياة المسلمين ليعيشوا في أجوائها الوبيثة قانعين .

أما فرض الحديث في هذا البحث عن منهج للتفسير
جديد ، مبتدع ، مبتكر ، فات الأولين أن يحوموا حول
ساحته فهذا غرور أجوف ، وكبرياء طبولية ، ودعاوى
كسيحة ، لا تنهض على ساق من واقع العلم والهدى ،
ونعوذ بالله من خزي الغرور ، ومن غرور الكبرياء الفاضحة .
ونسأله سبحانه ذل العبودية لجلاله ، ونستلهمه التوفيق .

إذا فماذا يعني عنوان هذا الكتاب (نحو منهج لتفسير القرآن) .

انه يعني الحديث عما ينبغي أن تكون عليه الدراسة القرآنية في مناهج دراستنا الاسلامية التي يجب أن نوجه اليها - وكدت أقول - أن نحول اليها واقعنا الدراسي في تفسير القرآن ، ليكون وجودنا العلمي وواقعنا الفكري متمشيين مع ما يقتضيه خلود القرآن العظيم باعتباره كتاب الانسانية كلها ، أنزل لهدايتها في جميع عصورها وأجيالها . ذلك الكتاب الذي ختم الله به وحيه ، وختم بشريعته شرائعه السماوية ، وختم بنبوة من أنزله عليه النبوة ، فلا نبوة بعد نبوة خاتم النبيين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا كتاب ينزل من السماء بعد القرآن ، ولا شريعة تصلح أن تشرع للحياة ما يكفل للانسانية سعادة الدين والدنيا بعد شريعة القرآن .

ومن ثم كان واجبا علينا أن نتبين واقعنا الدراسي في تفسير القرآن العظيم ، وكان واجبا علينا أن نزن هذا الواقع بميزان الكفاية في تحقيق حاجة المسلمين في واقعهم إلى فهم القرآن فهما يقيم دعائم الحجة النيرة على مقاصد

هذا الكتاب الحكيم فيما جاء به من أصول العقيدة ،
والتعبد والتربية السلوكية ، والنظم الاجتماعية ،
والأوضاع الاقتصادية ، والطرائق الحُكْمِيَّة ، والتحرر
الفكري ، والترابط الانساني بين الافراد والجماعات ، إلى
سائر المعاني والأفكار التي استهدفها القرآن في آياته البينات
وأُسلوبه القاهر ، وواقعيته في الاستجابة إلى دعاوي الخير
ودوافع الإصلاح .

وما أظن أن أحدا يتخالجه مسّ من الشك في أن
المسلمين اليوم وبعد اليوم على مدى مستقبلهم القريب
والبعيد في أشد الحاجة إلى أن يستلهموا القرآن العظيم ،
دستورهم الأكرم حوافزه الدافعة بفهمه فهما يغير من
حياة المسلمين ، ويضعها في وضع يمكن للاسلام من
نشر رأيته على الآفاق باعتباره ديناً ، ونظاماً اجتماعياً
متكاملاً ، يحمل في صفحات دستوره كل ما تتطلبه
الحياة الحرة الكريمة المستقيمة ، بل يحمل في تلك
الصفحات كل ما تصبو اليه الانسانية من سعادة وتقدم
ورقي .

فهنا يمكن للمسلمين أن يعيشوا في حاضريهم ومستقبلهم

مع الحياة الناهضة التي أصبح فيها سلطان العلم والمعرفة فوق كل سلطان ، مع الحياة التي وثب فيها العقل الانساني وثبات كادت تحيل الطفرة إلى حقيقة من حقائق الواقع الملموس . فهل اذا وزنا الدراسة القرآنية في مناهجنا الدراسية التي تسير عليها اليوم جميع البلاد الاسلامية ، والتي سارت عليها منذ قرون بعد انفراط عقد النهضة الاسلامية بميزان الكفاية في واقعنا الذي يعيشه المسلمون في هذا العصر نستطيع أن نزعّم أن هذه الدراسة القرآنية تقوم بحاجات المسلمين ، وتسد مطالبهم الفكرية والاجتماعية في هذا العصر والعصور المقبلة بما فيها من توثبات فكرية ومذاهب اجتماعية وكشوف علمية ، وطموح عقلي ، ومعارف تجريبية ، ونظريات كونية ، وآراء فلسفية ، وانحرافات دينية وأوضاع اقتصادية ، ونظم سياسية ؟

لن يستطيع مفكر عُني بالمكتبة القرآنية في تاريخ الفكر الاسلامي أن ينكر أن القرآن العظيم حظي بعناية من البحث والدراسة لم يحظ بمثلها كتاب ، أيّ كتاب ، إلهي أو بشري ، عرف أو يعرف في حياة المجتمع الانساني على مدى تاريخ الحياة فوق هذه الأرض .

القرآن في مناهج دراستنا الإسلامية

- * مبعث الدراسات الإسلامية
- * البحث في جانب العبادات
- * جانب البحوث اللغوية
- * إقحام حصائل الفكر البشري
- في تفسير جانب العقيدة

لقد كان القرآن الكريم مبعث جميع الدراسات
الاسلامية نقلية وعقلية أدبية أو دينية ، اجتماعية أو
تربوية ، لأن هذا الكتاب كان ولا يزال هو النبع الاصيل
الذي فاضت وتفيض منه روافد علوم الاسلام ومعارف
العربية .

بيد أن هذه العناية التي لقيها القرآن على أيدي
غطارفة ابحاثين من أئمة الاسلام وأعلام الامة كانت
تتناول بعض جوانبه فتتسع تارة ، فسيحة الأرجاء ،
متشعبة المناحي ، مسهبة العبارات ، تتكرر بين البدء
والاعادة .

وكانت في بعض جوانبه ايجازا أقرب إلى الرمز
والاشارة منها إلى البحث التحليلي المتعمق .

فنحن نجد أن البحث في جانب العبادات من تفاسير القرآن قد اتسع مجاله ، ونالت فيه مسائل الفروع الفقهية عناية تجاوزت واقع الناس إلى الفروض والتخمينات . وفي جانب البحوث اللغوية أفراداً وتركيباً وأسلوباً نجد فيضاً من البحث في قواعد اللغة نحواً وصرفاً وتفرعاً وإيراداً للشواهد الصحيحة والمتحولة ، ونجد جدلاً لفظياً عريض المدى صرف الباحثين عن المقصد الأعلى للقرآن الحكيم وهو الهداية في بيان القرآن وأسلوبه ومعانيه بما أغرقت فيه من جدل عقيم لا يحل ولا يمر .

وفي العقيدة ، وهي أصل الأصول التي نزل القرآن لتثبيت دعائمها اتخذ جمهور المفسرين الذين لهم عناية بهذا الجانب الفكري من مقاصد القرآن ، حصائل الفكر البشري قديمها وحديثها في أعصرهم ميداناً لبحوثهم وألقوا بها في خضم الدراسة القرآنية على أنها تفسير لهذا الجانب من هذا الكتاب الكريم ، وقد كان لاقحام هذه الحصائل الفكرية على حمى القرآن أثرها المعوق على تبیین الهداية الالهية بطريقة القرآن الخاصة في البرهنة على قضايا العقيدة ، ودحض شبه المبطلين .

الفلسفة الإسلامية

• مِنْ قُرُونِ الْفُرْقَةِ

• تَيَّارُ التَّجْدِيدِ

• إِخْضَاعُ الْقُرْآنِ لِلنَّظَرِيَّاتِ الْمَهْزُوزَةِ

وللقرآن الحكيم طريقه الذي امتاز به في أسلوب البرهنة والاستدلال ، وهو يورد ذلك في تنوع يتلاءم مع كل مقام وكل بيئة وكل عقل .

وقد أدى اغراق الهداية القرآنية في خضم الحصائل الفكرية إلى مشكلة فكرية تاريخية يصعب الخلاص منها ، تلك هي تحميل الاسلام - ومنبعه الوحيد في العلوم والمعارف هو القرآن العظيم - عبء حصائل الفكر البشري ، ذي اللون الغريب كل الغرابة عن مفاهيم الهداية الاسلامية ، وجعلها من عمل الاسلام ومعارفه وأفكاره ، وقد هلل لها وتعبد لأساطينها الذين أغرموا بها .

ذلك هو ما يعرف في دراستنا وتاريخنا الفكري بالفلسفة الاسلامية وهي فلسفة أجنبية عن الاسلام في أصل وجودها ،

١٧ نحو منهج لتفسير القرآن - ٢

المملكة العربية السعودية - وزارة المعارف - المكتبات المدرسية

ولكنها (تأسلمت) - اذا صح هذا التعبير - على أيدي طائفة من المفكرين الأذكياء لم يحل ذكاؤهم دون استسلامهم في الكثير من التفكير وقضايا الفلسفة الالهية لمعلمهم الاول (أرسطو) كما سموه .

ولقد جالوا معه في ميدان البحث الفلسفي جولات لو أنهم صرفوها صادقين مستقلين إلى منبع الهداية الالهية لكان لنا معشر المسلمين اليوم فلسفة اسلامية حقيقية ، تنبع من أصل أصولنا ومنبع هدايتنا القرآن العظيم .

وهكذا صارت الدراسة القرآنية في مراحل التاريخ الاسلامي تقليدا لما ورثناه من قرون الفرقة الاسلامية ، ولم نحاول في دراستنا أن نستجيب لدواعي العلم أداء لحق العقل المتحرر من قيود الاستعباد الفكري والتقليد المستسلم ، واستعادة للعزة الاسلامية التي أقام القرآن الكريم صرح بناء الامة على دعائمها .

والذين حاولوا منا أن يتحرروا لم يكن لهم من سلاح العلم الصحيح والعقل الرجيع والاعتصام بأصول الاسلام ما يعصمهم عن الوقوع في مزالق التقليد الاھوج لقوم

هم أبعد ما يكونون عن الاسلام ومفاهيم هدايته ، وهؤلاء
بتعبير أصح تحللوا ولم يتحرروا جريا وراء بريق الشهرة
الزائفة وغرور التجديد ، وحملوا القرآن في تفسيره ما لا
تحتمله آياته من أقوال ومذاهب ونظريات هي أقرب إلى
التعسف والتحريف منها إلى التفسير والتحرير ، فخصصوا
العام ، وعمموا الخاص ، وأطلقوا المقيد ، وقيدوا المطلق ،
ونسخوا المحكم ، وأحالوا الظواهر ، وجعلوا ما للآخرة
منه للدنيا وما للدنيا للآخرة .

والذي يثير الدهش والأسف أن بعضا من الأفاضل
الأكابر الذين أجادوا بيان هداية القرآن في بعض بحوثهم
الدراسية للقرآن الكريم جرفهم تيار التجديد فانزلقوا
في منحدر التأويل المتعسف . وحاول بعضهم اخضاع
آيات القرآن لنظريات زعم أصحابها أنه قد استقام
لها الاستدلال وأصبحت علما مقرورا لا يحتل الشك
والارتياب ، مع أنها نظريات لا تزال يعوزها الاستقرار
العلمي ، وتفتقد البرهان الذي يرفعها إلى مظنونات
الحقائق ، بله اليقين .

ولو أن هؤلاء الاجلاء صاحبهم التوفيق فقصروا